



خلق عيسى بن مريم عليه السلام

تأليف: أ.د. / حنفى محمود مدبولى

خلق عيسى بن مريم عليه السلام

أ.د. / حنفي محمود مدبولي

عضو الهيئة العالمية للإعجاز العلمي فى القرآن والسنة

نمط ثالث من أنماط الخلق الدال على ال قدرة المطلقة لله عز وجل وهو خلق عيسى ابن مريم عليهما السلام من أنثى دون الاحتياج إلى الزوج مع وجود الرحم لأن مريم عليها السلام حملت به ووضعتة فى حال المخاض . وذكر خلق عيسى عليه السلام آية أخرى من آيات الحق الدالة على القدرة المطلقة لله رب العالمين ، ورد على المغالين والملحدين والكافرين الذين اتخذوه اله ا أو ولدا لله عز وجل أو ثالث ثلاثة وكل هذا كفر وضلال بينه رب العالمين وفند لهم هذه الشبهات بأبلغ رد وأيسر بيان . ولذلك فإنى استشهد بالعديد من أقوال أهل التفسير للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للدلالة على القدرة الإلهية لخلق عيسى بن مريم ولنفى أباطيل أه ل الكفر والالحاد فى شأن عيسى بن مريم عليهما السلام سواء فى حال مولده أو فى حال رفعه من الأرض إلى السماء.

الأدلة الشرعية:

أولاً: من القرآن الكريم

- ✦ (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ(45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47) سورة آل عمران.
- ✦ (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ(60) سورة آل عمران.
- ✦ (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا(171) سورة النساء
- ✦ (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ سُبَّهُ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ

وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) سورة النساء.

ولكى نفهم قصة خلق عيسى عليه السلام فلا بد وأن نعود إلى بعض كتب التفسير التي فسرت لنا الآيات التي تتكلم فى هذا الشأن

أولاً: تفسير الآية من قوله تعالى:

{إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ }

تفسير ابن جرير الطبري

يعنى بقوله جل ثناؤه: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ} وما كنت لديهم إذ يختصمون، وما كنت لديهم أيضا إذ قالت الملائكة: يا مريم إن الله يبشرك. والتبشير: إخبار المرء بما يسره من خير. وقوله: {بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ} يعنى: برسالة من الله، وخبر من عنده، وهو من قول القائل: ألقى فلان إلي كلمة سرني بها، بمعنى: أخبرني خبرا فرحت به، كما قال جل ثناؤه: {وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ} يعنى بشرى الله مريم بعيسى ألقاها إليها.

فتأويل الكلام: وما كنت يا محمد عند القوم إذ قالت الملائكة لمريم: يا مريم إن الله يبشرك ببشرى من عنده، هي ولد لك، اسمه المسيح عيسى ابن مريم. وقد قال قوم، وهو قول قتادة: إن الكلمة التي قال الله عز وجل بكلمة منه، هو قوله: «كن». فسماه الله عز وجل كلمته، لأنه كان عن كلمته، كما يقال لما قدر الله من شيء: هذا قدر الله وقضاؤه، يعنى به: هذا عن قدر الله وقضائه حدث، وكما قال جل ثناؤه: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} يعنى به: ما أمر الله به، وهو المأمور الذي كان عن أمر الله عز وجل.

وقال آخرون: بل هي اسم لعيسى سماه الله بها كما سمي سائر خلقه بما شاء من الأسماء. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: الكلمة: هي عيسى.

وأقرب الوجوه إلى الصواب عندي القول الأول: وهو أن الملائكة بشرت مريم بعيسى عن الله عز وجل برسالته وكلمته التي أمرها أن تلقها إليها، أن الله خالق منها ولدا من غير بعل ولا فحل، ولذلك قال عز وجل: {اسْمُهُ الْمَسِيحُ} فذكر، ولم يقل اسمها فيؤنث، والكلمة مؤنثة، لأن الكلمة غير مقصود بها قصد الاسم الذي هو بمعنى فلان، وإنما هي بمعنى البشارة، فذكرت كنايةها. وأما قوله: {اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ

مَرِيْمَ} فإنه جلّ ثناؤه أنبا عباده عن نسبة عيسى ، وأنه ابن أمه مريم ، ونفى بذلك عنه ما أضاف إليه الملحدون في الله جلّ ثناؤه من النصارى ، من إضافتهم بنوته إلى الله عزّ وجلّ ، وما قَدَّتْ أُمُّهُ به المفترية عليها من اليهود. قال محمد بن جعفر بن الزبير: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ}: أي هكذا كان أمره ، لا ما يقولون فيه. وأما المسيح ، فإنه فَعِيلٌ ، صرّف من مفعول إلى فعيل ، وإنما هو ممسوح ، يعنى: مسحه الله فطهره من الذنوب ، ولذلك قال إبراهيم النخعي: المسيح الصديق ، وقال آخرون: مسح بالبركة. وهو قول سعيد بن المسيب . {وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ}. يعنى بقوله «وجيها»: ذا وجه ومنزلة عالية عند الله وشرف وكرامة ، ومنه يقال للرجل الذي يشرف وتعظمه الملوك والناس: وجيه يقال منه: ما كان فلان وجيها ، ولقد وَجَّهَ وَجْهَهُ وَجَاهَةً ، وإن له لَوَجْهًا عند السلطان ، وجاها ووجاهة. وكما قلنا من أن تأويل ذلك وجيها في الدنيا والآخرة عند الله ، وأما قوله: {وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} فإنه يعنى: أنه ممن يقربّه الله يوم القيامة ، فيسكنه في جواره ، ويدنيه منه. وهو قول قتادة والربيع: من المقربين عند الله يوم القيامة.

تفسير بن كثير

هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام بأن سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير. قال الله تعالى: { إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ } أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله، أي يقول له: كن فيكون ، وقوله: { وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا } أي يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له في حال صغره ، معجزة وآية ، وفي حال كهولته حين يوحى الله إليه بذلك { وَمِنَ الصَّالِحِينَ } أي في قوله وعمله ، له علم صحيح وعمل صالح. فلما سمعت بشارة الملائكة لها بذلك عن الله عز وجل ، قالت في مناجاتها { رَبِّ أَنْتَ يَا رَبُّ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بِشَرٍّ ؟ } تقول كيف يوجد هذا الولد مني وأنا لست بذات زوج ، ولا من عزمي أن أتزوج ، ولست بغياً حاشا لله ؟ فقال لها الملك عن الله عز وجل في جواب ذلك السؤال { كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ } أي هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء ، وصرح ههنا بقوله: { يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ } ولم يقل: يفعل ، كما في قصة زكريا ، بل نص ههنا على أنه يخلق لئلا يبقى لمبطل شبهة ، وأكد ذلك بقوله: { إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } أي فلا يتأخر شيئاً بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة كقوله: { وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر } أي إنما نأمر مرة واحدة لا مثوية فيها فيكون ذلك الشيء سريعاً كلمح بالبصر.

تفسير القرطبي:

{ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ } دليل على نبوتها. يقول: يكلم الناس في المهد آية ، ويكلمهم كهلا بالوحي والرسالة. وقال أبو العباس: كلمهم في المهد حين برأ أمه فقال: "إني عبد الله" [مریم: 30] الآية. وأما كلامه وهو كهل فإذا أنزله الله تعالى من السماء أنزله على صورة ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو الكهل فيقول لهم: "إني عبد الله" كما قال في المهد. فهاتان آيتان وحجتان. قال المهدي: وفائدة الآية أنه أعلمهم أن عيسى عليه السلام يكلمهم في المهد ويعيش إلى أن يكلمهم كهلا، إذ كانت العادة أن من تكلم في المهد لم يعيش. قال الزجاج: "وكهلا" بمعنى وبكلم الناس كهلا. وقال الفراء والأخفش: هو معطوف على "وجيها". وقيل: المعنى وبكلم الناس صغيرا وكهلا. وإنما الكهل عند أهل اللغة من ناهز الأربعين. "ومن الصالحين" عطف على "وجيها" أي وهو من العباد الصالحين.

تفسير الشنقيطي:

{ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ } لم يبين هنا هذه الكلمة التي أطلقت على عيسى ؛ لأنها هي السبب في وجوده من إطلاق السبب وإرادة مسببه ، ولكنه بين في موضع آخر أما أنها لفظة كن ، وذلك في قوله : { إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ } ، وقيل : الكلمة بشارة الملائكة لها بأنها ستلده واختاره ابن جرير ، والأول قول الجمهور .

ثانيا: تفسير الآية من قوله تعالى:

{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } (59) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (60) سورة آل عمران

تفسير الطبري:

{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } يعني جل ثناؤه: إن شبه عيسى في خلقي إياه من غير ذكر - فأخبر به يا محمد الوغد من نصارى نجران - عندي كشبه آدم الذي خلقتة من تراب ، ثم قلت له كن فكان، من غير فعل، ولا ذكر، ولا أنثى. يقول: فليس خلقي عيسى من أمه من غير ذكر، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكر ولا أنثى، فكان لحما، يقول: وأمري إذ أمرته أن يكون فكان، فكذلك خلقي عيسى أمرته أن يكون فكان.

وقال ابن زيد في قول الله عز وجل { إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ } قال: أتى نجرانيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا له: هل علمت

أن أحدا ولد من غير ذكر فيكون عيسى كذلك؟ قال: فأنزل الله عزّ وجلّ: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} أكان لآدم أب أو أم ، كما خلقت هذا في بطن هذه؟ فإن قال قائل: فكيف قال: «كمثل آدم خلقه» ، وآدم معرفة ، والمعارف لا توصل؟ قيل: إن قوله: {خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ} غير صلة لآدم ، وإنما هو بيان عن أمره على وجه التفسير عن المثل الذي ضربه وكيف كان.

فتأويل الكلام إذا: إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له كن واعلم يا محمد أن ما قال له ربك: كن ، فهو كائن. فلما كان في قوله: {كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ} دلالة على أن الكلام يراد به إعلام نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وسائر خلقه أنه كائن ما كونه ابتداء من غير أصل ولا أول ولا عنصر ، استغنى بدلالة الكلام على المعنى ، وقيل: فيكون ، فعطف بالمستقبل على الماضي على ذلك المعنى. وقد قال بعض أهل العربية: فيكون رفع على الابتداء ومعناه: كن فكان ، فكأنه قال: فإذا هو كائن.

تفسير بن كثير:

يقول جل وعلا: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ} في قدرة الله حيث خلقه من غير أب {كمثل آدم} حيث خلقه من غير أب ولا أم بل {خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} فالذي خلق آدم من غير أب ، قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأخرى ، وإن جاز ادعاء البنوة في عيسى لكونه مخلوقاً من غير أب ، فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى ، ومعلوم بالإتفاق أن ذلك باطل ، فدعواها في عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً ، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى ، ولهذا قال تعالى في سورة مريم {ولنجعله آية للناس} وقال ههنا: {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} أي هذا هو القول الحق في عيسى الذي لا محيد عنه ولا صحيح سواه ، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

تفسير القرطبي:

قوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ} دليل على صحة القياس. والتشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب كآدم، لا على أنه خلق من تراب. والشيء قد يشبه بالشيء وإن كان بينهما فرق كبير بعد أن يجتمعا في وصف واحد ؛ فإن آدم خلق من تراب ولم يخلق عيسى من تراب فكان بينهما فرق من هذه الجهة ، ولكن شبه ما بينهما أنهما خلقهما من غير أب ؛ ولأن أصل خلقتهما كان من تراب لأن آدم لم يخلق من نفس التراب ، ولكنه جعل التراب طينا ثم جعله صلصالا ثم خلقه

منه ، فكذلك عيسى حوله من حال إلى حال، ثم جعله بشرا من غير أب. ونزلت هذه الآية بسبب وفد نجران حين أنكروا على النبي محمد صلى الله عليه وسلم قوله: (إن عيسى عبد الله وكلمته) فقالوا: أرنا عبدا خلق من غير أب؛ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (آدم من كان أبوه أعجبتم من عيسى ليس له أب؟ فأدم عليه السلام ليس له أب ولا أم). فذلك قوله تعالى: "ولا يأتونك بمثل "أي في عيسى "إلا جتناك بالحق" في آدم "وأحسن تفسيرا" [الفرقان: 33]. وروي أنه عليه السلام لما دعاهم إلى الإسلام قالوا: قد كنا مسلمين قبلك. فقال: (كذبتكم يمنعكم من الإسلام ثلاث: قولكم اتخذ الله ولدا، وأكلكم الخنزير، وسجودكم للصليب). فقالوا: من أبو عيسى؟ فأنزل الله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ} إلى قوله: "فنجعل لعنة الله على الكاذبين" [آل عمران: 61].

تفسير الجلالين:

(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى) شأنه الغريب (عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ) كشأنه في خلقه من غير أم ولا أب وهو من تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس (خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ) ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ) بشراً (فَيَكُونُ) أي فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير أب فكان ، (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) خبر مبتدأ محذوف أي أمر عيسى (فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين فيه ، (فمن حاجك) جادلك من النصارى (فيه من بعد ما جاءك من العلم) بأمره (فقل) لهم (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) فجمعهم (ثم نبتهل) تتضرع في الدعاء (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) بأن نقول: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى وقد دعا صلى الله عليه وسلم وفد نجران لذلك لما حاجوه به فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك فقال ذو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وأنه ما باهل قوم نبيا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا الرسول صلى الله عليه وسلم وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي وقال لهم: إذا دعوت فأمنوا فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية⁽¹⁾ ، وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا ، وروي: لو خرجوا لاحترقوا

ثالثا: تفسير الآية من قوله تعالى:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ

⁽¹⁾ رواه أبو نعيم

وَلَدُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) سورة النساء

تفسير بن كثير:

ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء ، وهذا كثير في النصارى ، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة ، إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدونه. بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقًا أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشادًا، أو صحيحًا أو كذبًا، ولهذا قال الله تعالى: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله} الآية.

وروى الإمام أحمد: بسنده عن ابن عباس ، عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم. فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله(2)». وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رجلاً قال يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهويكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلى الله عز وجل» تفرد به من هذا الوجه. وقوله تعالى: {ولا تقولوا على الله إلا الحق} أي لا تغفروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولداً ، تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً ، وتنزهه وتقدس وتوحد في سؤدده وكبريائه وعظمته ، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه ، ولهذا قال: {إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} أي إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه، قال له: كن فكان ، ورسول من رسله وكلمته ألقاها إلى مريم ، أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل ، فكان عيسى بإذنه عز وجل ، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها ، فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم ، والجميع مخلوق الله عز وجل ، ولهذا قيل لعيسى: إنه كلمة الله وروح منه ، لأنه لم يكن له أب تولد منه ، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان ، والروح التي أرسل بها جبريل قال الله تعالى: {ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام}. وقال تعالى: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون}. وقال تعالى: {والتي أحصنت فرجها فنفخنا

² قال بن كثير ثم رواه هو وعلي بن المديني عن سفيان بن عيينة، عن الزهري كذلك، ولفظه «إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» وقال علي بن المديني: هذا حديث صحيح سنده وهكذا رواه البخاري عن الحميدي، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري به، ولفظه «فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله».

فيه من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين} وقال تعالى: {ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها} إلى آخر السورة ، وقال تعالى إخباراً عن المسيح: {إن هو الا عبد أنعمنا عليه} الآية.

بل الصحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم, فنفخ فيها بإذن الله فكان عيسى عليه السلام. وقال البخاري: حدثنا صدقة بن الفضل , حدثنا الوليد , حدثنا الأوزاعي, حدثني عمير بن هانيء, حدثنا جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت, عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من شهد أن لا إله إلا الله , وحده لا شريك له , وأن محمداً عبده ورسوله , وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه , وأن الجنة حق والنار حق , أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». وكذا رواه مسلم عن داود بن رشيد , عن الوليد , عن ابن جابر به , ومن وجه آخر عن الأوزاعي به, فقوله في الآية والحديث «وروح منه» كقوله: {وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه} أي من خلقه ومن عنده وليست من التبويض كما تقوله النصرى عليهم لعائن الله المتتابعة - بل هي لابتداء الغاية كما في الآية الأخرى , وقد قال مجاهد في قوله: {وروح منه} أي ورسول منه , وقال غيره: ومحبة منه , والأظهر الأول وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف , كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله: {هذه ناقة الله} وفي قوله: {وطهر بيتي للطائفين} وكما روي في الحديث الصحيح: «فأدخل على ربي في داره» أضافها إليه إضافة تشريف , وهذا كله من قبيل واحد ونمط واحد.

وقوله: {فآمنوا بالله ورسوله} أي فصدقوا بأن الله واحد أحد , لا ولد له ولا صاحبة , واعلموا وتيقنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله , ولهذا قال تعالى: {ولا تقولوا ثلاثة} أي لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين , تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً , وهذه الآية كالتى في سورة المائدة حيث يقول تعالى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد} وكما قال في آخر السورة المذكورة: {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني} الآية, وقال في أولها {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم} الآية - فالنصارى عليهم لعائن الله - من جهلهم ليس لهم ضابط , ولا لكفرهم حد , بل أقوالهم وضلالهم منتشر , فمنهم من يعتقد أنه إله , ومنهم من يعتقد أنه شريكاً , ومنهم من يعتقد أنه ولد , وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة , وأقوال غير مؤتلفة.

فائدة: هل عيسى عليه السلام هو وحده الذى تكلم فى المهد :

تأتى الأدلة من السنة النبوية المطهرة لتبين لنا من هم الذين تكلموا فى المهد :

ذكر بن كثير : قال محمد بن إسحاق : عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن محمد بن شرحبيل ، عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما تكلم مولود في صغره إلا عيسى وصاحب جريج» وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو الصقر يحيى بن محمد بن قزعة ، حدثنا الحسين يعني المروزي ، حدثنا جرير يعني ابن حازم ، عن محمد ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ، وصبي كان في زمن جريج، وصبي آخر»

وذكر القرطبي: ذكر أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبدالله بن إدريس عن حصين عن هلال بن يساف. قال: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى وصاحب يوسف وصاحب جريج كذا قال: "وصاحب يوسف". وهو في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وصاحب الجبار وبيننا صبي يرضع من أمه) وذكر الحديث بطوله . وقد جاء من حديث صهيب في قصة الأخدود (أن امرأة جيء بها لتلقى في النار على إيمانها ومعها صبي). في غير كتاب مسلم (يرضع فتعاست أن تقع فيها فقال الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق) وقال الضحاك: تكلم في المهد ستة : شاهد يوسف وصبي ماشطة امرأة فرعون وعيسى ويحيى وصاحب جريج وصاحب الجبار . ولم يذكر الأخدود، فأسقط صاحب الأخدود وبه يكون المتكلمون سبعة . ولا معارضة بين هذا وبين قوله عليه السلام : (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة) بالحصص فإنه أخبر بما كان في علمه مما أوحى إليه في تلك الحال ، ثم بعد هذا أعلمه الله تعالى بما شاء من ذلك فأخبر به .

قلت: أما صاحب يوسف فيأتي الكلام فيه، وأما صاحب جريج وصاحب الجبار وصاحب الأخدود ففي صحيح مسلم . وستأتي قصة الأخدود في سورة "البروج" إن شاء الله تعالى. وأما صبي ماشطة امرأة فرعون ، فذكر البيهقي عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لما أسري بي سرت في رائحة طيبة فقلت ما هذه الرائحة قالوا ماشطة ابنة فرعون وأولادها سقط مشطها من يديها فقالت : بسم الله فقالت ابنة فرعون: أبي؟ قالت: ربي وربك ورب أبيك. قالت: أولك رب غير أبي؟ قالت: نعم ربي وربك ورب أبيك الله - قال - فدعاها فرعون فقال: ألك رب غيري؟ قالت: نعم ربي وربك الله - قال - فأمر بنقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها لتلقى فيها قالت: إن لي إليك حاجة قال: ما هي؟ قالت: تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع واحد قال ذلك لك لما لك علينا من الحق فأمر بهم فألقوا واحدا بعد واحد حتى بلغ رضيعا فيهم فقال قعي يا أمه ولا تقاعسي فإننا على الحق - قال - وتكلم أربعة وهم صغار: هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم .

عبر وعظمت من خلق عيسى عليه السلام:

✦ أن خلق عيسى عليه السلام دون الاحتياج إلى زوج لمريم عليها السلام نمط آخر من قدرة الله على الخلق والإيجاد فهو وحده سبحانه وتعالى القادر على ذلك وحتى لا يقول الناس أن عيسى بن مريم يحيى ويميت فيرد الله عليهم بأنه لا يملك خلق نفسه وإنما خلقناه بقدرتنا بدون الاحتياج إلى زوج لمريم عليه السلام. وأما قدرة عيسى بن مريم على احياء الموتى وخلق الطير فكان بإذن الله العليم القدير ولا يقدر عيسى عليه السلام على ذلك من تلقاء نفسه

✦ أن عيسى بن مريم بشر تتحقق فيه كل صفات البشرية فهو مخلوق في الرحم ومولود منها وكان يأكل ويشرب وهذه صفات البشر فعلام اتخذه الضالون إليها ؟ بل جاء النهى صريح عن اتخاذ عيسى بن مريم وأمه إلهين من دون الله وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍِّّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) سورة المائدة.

وهذا الذي نزهه عيسى بن مريم به الله (قَالَ سُبْحَانَكَ) من أن يكونا كذلك

✦ أن عيسى بن مريم هو الوحيد من البشر الذي نسبه الله إلى أمه . ونسبته إلى أمه مريم عليها السلام دليل آخر على بشريته وأنه ليس إليها

✦ أن كلام عيسى بن مريم في المهد براءة لأمه العفيفة البتول فلو جاءت مريم عليها السلام بجميع من في الأرض ليشهدوا على براءتها ما صدقها المتشككون ولكن جاءت براءتها معجزة يتكلم بها عيسى وهو في المهد ابن يوم أو أقل من يوم.

✦ لو أن خلق عيسى بن مريم بدوب أب ذريعة لاتخاذها إلهًا من دون الله أو ولداً لكان آدم عليه السلام أحق بذلك من عيسى بن مريم لأن آدم عليه السلام خلقه الله بدون أب أو أم أو رحم وهذا لم يقله أحد من عقلاء الأمم السابقة ولا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وبهذا تنتفي ألوهية عيسى بن مريم وتنتفي بنوته لله عز وجل وتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً

✦ وكما اختلفوا في خلقه فقد اختلفوا أيضاً في موته فقالوا أنه صلب وقتل والله سبحانه وتعالى رفعه إليه دون أن يصلب أو يقتل في الأرض وهذه حكمة ثانية في مسألة موته عليه السلام لأنه في زمن البحث عن استنساخ البشر في القرن العشرين لربما نبش العلماء المهوسون بالاستنساخ قهراً بحثاً عنه عليه السلام لنسخ نسخ أخرى منه والعلم فنون وجنون

✦ وحتى لا يعطى أحد من الناس مزية أخرى لعيسى بن مريم أنه هو الوحيد الذي تكلم في المهد فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن ثمة مواليد صغار تكلموا أيضاً في المهد بقدرة الله عز وجل . فلو كان عيسى بن مريم إليها بهذه لكانوا

هؤلاء آلهة كذلك ، وهذا لم يقله أحد من عقلاء هذه الأمة سواء من العلماء أو من غيرهم.

◆ هذه الآيات البيّنات تتكلم عن أصل تكوين الجسد عند عيسى بن مريم حتى لا يظن أحد أن أصل المادة التي خلق منها عيسى ابن مريم غير التي خلق منها آدم عليه السلام فيتخذونه إلهًا من دون الله ورغم ذلك فالنصارى اتخفوه إلهًا لفهمهم الخاطيء عن عيسى بن مريم عليه السلام

◆ خلق حواء عليها السلام وخلق عيسى بن مريم عليه السلام ليس استنساخًا كما يظن البعض لأن بعض المتكلمين لما ظهر بحث استنساخ النعجة دوللي 1997 قالوا أن الاستنساخ مذكور في القرآن وقالوا أنه جاء في خلق أمنا حواء عليها السلام وخلق عيسى عليه السلام وهذا كلام باطل لسببين رئيسين وهما

1- أن عيسى بن مريم ذكر من أنثى وهذا عكس الاستنساخ تماما لأن النسخة لا بد أن تتشابه تماما في التكوين الجسدى بمعنى أن النسخة من الذكر تكون ذكرا والنسخة من الأنثى تكون أنثى. وكذلك الحال في خلق أمنا حواء عليها السلام فهي أنثى من ذكر وهذا بخلاف الاستنساخ

2- أمنا حواء سوية البنية وأنجبت ذرية سوية البنية (ذرية بعضها من بعض) ولم تتغير الصفات الوراثية الموروثة منها إلى أن تقوم الساعة وهذا عكس الاستنساخ فإن الذرية إن قدر الله لها العيش فهي تعيش مشوهة وتموت وينقطع نسلها لتفاوت الصفات الموروثة منها نتيجة خلل في بعض الجينات . وكذلك عيسى بن مريم سوى البنية قوى الجسم ليس به تشوهات أو أمراض وهذا عكس الاستنساخ لأن النسخ تكون مشوهة ومريضة وبها علل كثيرة